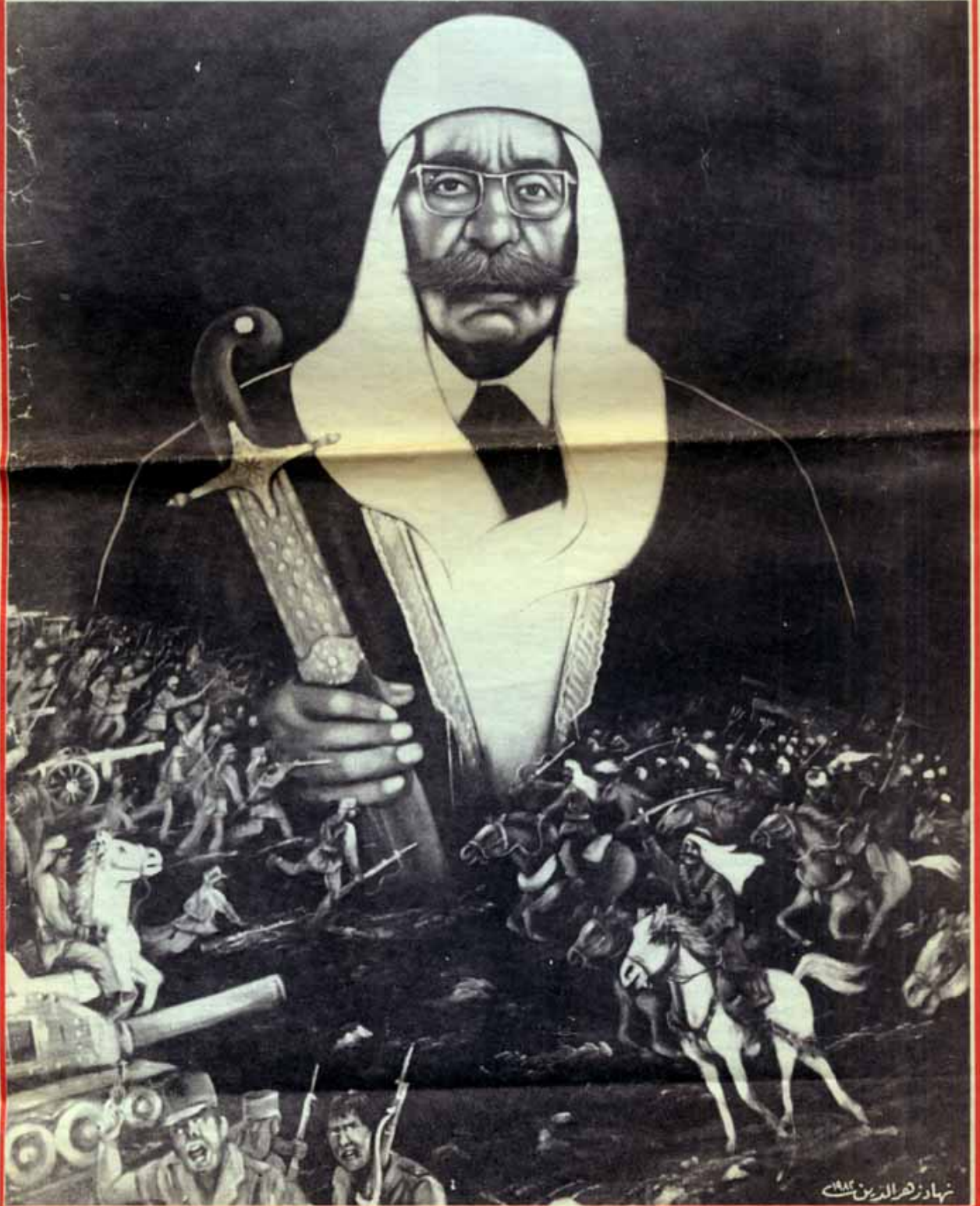


سلطان بابا الأطرش في الثورتين تجاوز المذهبية إلى التوحّد العروبي



نهاد زهر الدين

سلطان باشا الأطرش في الثورتين

تجاوز المذهبية إلى التوحيد العروبي

هل تقوم لجان دأمة تواكب رآن جمال عبد الناصر، ولسطان الأطرش وكمال جنبلاط
فتمسك بإبداعات النضال وترسيح حقائق ووقائع؟
بقلم: سامي زبيان

إرسال وإسلامه التوحيد العربي، فيهم كلهم تقع على الحقائق التي يحاولون تزويرها وإبرازها حقيقة أن يكون الموحدين الدروز ليس فقط من الإسلام والمسلمين، بل أن يكونوا سيف الإسلام والمسلمين في العصر الحديث.

نقول هذا، ونحن نفاضل من أجل مجتمع لبناني، ومجتمعات عربية بعيدة عن الطائفية والطوائف المغلقة المتعصبة ولكن ليست بعيدة عن التراث السليم. ونقول هذا والإسلام نفسه يحاولون تزييفه من خصوصيته المناضلة، ومن نوع من الأهمية البعيدة عن العرق والتعصب والانغلاق والعنصرية. ونقول هذا والإسلام اتسع لأم وشعوب لتتعارف، فكيف به لا ينسج لمذاهب واجتهادات عقل ونكر كان مذهب التوحيد في طليعتها؟

● مع سلطان الأطرش حدث التوحيد أكثر غاثر. جرد نفسه وسيفه لقتال العنابيين داخضا بزاعم وتلفيقات، فكان له دور في الثورة العربية الأولى، ثم جرد سيفه وذاته لقتال الاستعمار الفرنسي في ثورة كبرى قادها بنجاح مستقلا نهائيا كانه صنوف التزوير والتشويه التي أرادوا إلحاقها بجبل الدروز الذي عرف بجبل العرب العروبي.

وما هو نضال سلطان باشا الأطرش يؤكد في ساحته اللبنانية عمق الخطأ الذي يربد البعض ارتكابه في الوقوف عند مذهبية وعلوية طائفية.

● ومع الذكرى الثامنة لرحيله، ونحن نشارك في تجميد هذه الذكرى، وجدنا ميم أن يتكلم سقر الجبل عن نضال الجبل، نضال التوحيد والقتال والتوحيد العربي.

وما نحن نمود إلى مذكرات جيمت عن لسان المجاهد الكبير وشيخ المجاهدين على أنها مذكراته. وأتينا إذ نأخذ في الاعتبار ما أثير عن تلك المذكرات، نقوم بنشر مقاطع أساسية منها لما تضمنته من وقائع اقرب إلى الدقة منها إلى الخطأ.

وما هو سلطان باشا الأطرش يتكلم عن:

أولا - الثورة العربية الأولى الثورة الكبرى، ثورة فيصل الأول ودوره فيها.

ثانيا - الثورة العربية السورية، الثورة السورية الكبرى التي كان سلطان قائدها العام.

وفي تناوله للثورتين، نجد قائدا مجدانيا يتكلم في بطاح أرض العرب، ومن على ترابها، ميسكا بالوقائع بدقة متناهية. فهو المجر لتورة والقائد لها بمعظم معاركها. وإذا كنا نسلط الضوء هنا على سلطان باشا الأطرش، فليس لأننا وقعنا ونقع في لومة مذهبية، ولا لأن الرصاص الطائفية أحاطت بمعظمها الجيم، وإنما لأن هذا المجاهد الكبير تخطى المذهب إلى الانتماء الوطني والقومي. وإذا كان قد فعل شيئا للمذهبية فهو أنه نقلها إلى رحابة الوطن وطنيا وقوميا. ويوما عنيدا التي عبد الناصر ولسطان الأطرش قالت أجهزة الإعلام: التي صفرا العرب. هكذا يجب النظر إلى سلطان الأطرش. وهذه النظرة إلى سلطان تؤكد خصوصية نضال سوريا العربي سابقا ولاحقا منذ احتضنت أرضها الأخيرة الثورة العربية الكبرى، واحتضنت الجيش العربي الأول الذي تشكل على قاعدة وحدة العرب ووحدة بكل العرب ووحدة لكل العرب. ورغم أن ذلك قد بدأ صلبا مع مرور الزمن وتوالي وقائع التاريخ، إلا أنه شكل السبيل المستمر والذي يبحث عن كيف يتحقق. فإذا كانت العروبة لم تتأكد في دولة العروبة، فلا لأنها ليست حقيقة علمية تاريخية، بل لأنها تبحث عن كيف تتحقق ومن أي عروبة تتحقق. وهذا بدأ يتوضح مع تاريخنا الحديث ربما في صيغة اتحادية آتية لا محالة.

وما هي ذكرى سلطان الأطرش لأهيتها تثير هموما عروبية، ولا يمكن النظر إليها إلا في إطار عربي وعروبي، نهبا كما النظر لعبد الناصر ونضاله.

● ها نحن نترك لسلطان باشا الأطرش أن يتكلم عن سلطان في الثورتين.

سنة ثمانية مضت على رحيل سلطان باشا الأطرش، مرة ثمانية وثلاثة ورابعة ومرارا عدة تبدو ضرورة أن نعود إلى سقر الجبل ونضاله، وإلى تراثه النضالي الطويل لتسترد بها مارسه من خلق ومواقف وطروحات ثورية، ولتستخرج من سلوكه البطولي ومن موقعه التاريخي حقائق تتعلق بثورات العرب التي شهدناها مطلع القرن العشرين، وبطبيعة تلك الثورات والقوى التي صنعتها وحقت النصر فيها.

ومع السنة الثامنة لرحيل الباشا المقاتل، وسيف العرب المتلمع في القرن العشرين، وشيخ المجاهدين، والقائد العام للثورة العربية السورية ضد الاستعمار الغربي، مع هذه الذكرى التي صادفت السادس والعشرين من آذار الماضي تبدو ضرورة أن نولي الاهتمام بقادة كان لهم دور تاريخي في انطلاق شعوبنا وانتصار معاركها.

وهذا الاهتمام يجب أن لا يبق عند حدود وتخليد الذكرى فقط، من مثل أحيائها، أو تجسيد بطل وقائد في نصب تذكاري مثلا، بل لا بد أن يتعدى ذلك إلى الإنقاء على الأبطال والقادة في تراثنا الراهن سياسيا وعسكريا وقاديا، بحيث نستفيد من عطائهم وإبداعاتهم النضالي في معاركنا الراهنة. وهذا لا بد أن يتم في قيام لجنة أو لجان تختص بدراسة تراث الأبطال وتاريخ حياتهم، واستخلاص واستخراج محطاتهم المشرفة. وكل هي مشرفة المحطات مثلا في حياة: جمال عبد الناصر، ولسطان الأطرش، وكمال جنبلاط؟

أصبح عبد الناصر رهنا بالمناخية التي تتعلق به: إبلاده، رحيله، بعض تواريخ نضاله. وهذا لا يكفي، فبعد الناصر تراث نضالي قائم بذاته، يحتاج إلى لجنة ولجان متخصصة تتابع على مدار السنة دراسته والتفتيش في حياته وتفاصيلها، والانتداب من شخصيته ونضاله بحيث تيسر بالحظوظ المشرفة من أجل نقلها إلى أجيالنا وشعوبنا.

كذلك الحال مع سلطان الأطرش، ومع كمال جنبلاط. هذه ثم تاريخية، هي من تاريخنا العربي الحديث: عبد الناصر، سلطان الأطرش، كمال جنبلاط. أصبحوا بملك شعوبنا العربية، تراثهم أصبح ملكا عاما ويجب ألا يبقى متروكا لاجتهاد فرد أو أفراد.

فها هو سلطان باشا الأطرش بنضاله وجهاده الذي امتد نصف قرن من الزمن وأكثر في فترة مهمة من تاريخ سوريا والعرب - مطلع القرن العشرين حتى ربيع الثالث -، ما هو جنتار خصوصيات ذاتية ومجتمعية وجغرافية خيفة ليكون واحدا من قادة العرب التاريخيين.

● ففي نضال سلطان الأطرش نقرأ مقاطع غاية من تاريخ ثورة العرب ضد العنابيين ومن أجل التخلص من الاستعمار التركي في إطار ما عرف بالثورة العربية الكبرى.

● وفي نضال سلطان الأطرش نقرأ مقاطع مهمة وأساسية، بل نقرأ كل تاريخ الثورة العربية السورية عام ١٩٢٥ ضد الاستعمار الأوروبي الفرنسي، لأنه رجل تلك الثورة وقائدها العام.

● وفي جهاده نقرأ تاريخ جبل الدروز وحقيقة انتمائه العربي والعروبي. ونقرأ حقيقة توحده السياسي وأمرار الجبل على أن يكون سوريا وطنيا وعربيا قويا. أسقط على يد سلطان أغراء النفوذ والانقسام، وأسقط على يده لعبة فصله عن سوريا الأم، وعن سوريا العربية.

● أما جهاد سقر الجبل، الباشا المناضل، نقرأ تاريخ الموحدين الدروز الذين كانوا فيه بجهاده، وكان فيهم بما هم عليه من عروبة وبطولة وشجاعة وإسلام مجاهد. نقول هذا ولعبة الاستعمار وعملانه تدور في تاريخنا الحديث محاولسة تشويه تاريخ هذه الطائفة الإسلامية أو تلك، فقط من أجل تشويه الإسلام والعرب ككل. مرة يذهبون بالشيعية التي الفارسية بعيدا عن العرب والإسلام، مرة يذهبون بالموحدين الدروز بعيدا عن العرب والإسلام، مرة يذهبون بالسنة عن الإسلام المناضل المقاتل. وذلك كله لعبة محدودة النجاح فاشلة التناجح.

● في جهاد سلطان الأطرش ودروز جبل العرب، وفي نضال كمال جنبلاط ودروز جبل لبنان، وفي نضال شكيب

في الذكرى الثانية لرحيل سقر الجبل



الثورة العربية الكبرى

عن « الثورة العربية » الكبرى قال سلطان باشا الأطرش :

بعد فترة وجيزة من دخول تركيا الى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى ، وافقنا اخبار تعيين جمال باشا قائدا عاما للقوات العثمانية في بلاد الشام وحكمتا عسكريا فيها ، فالتفت نظرنا لطورات هذه الأحداث بعين اليقظة والحذر ، وكنا نساءل عن نوع الحملة التي سيمعلنها بها الاتراك اذا ما اكتوبروا من حشد الجيوش في البلاد ، وراحو يستغلون ظروف الحرب لافعال الاحكام العربية والتشدد في حيازة المراتب ومصادرة وسائل النقل والموتد والمواد الغذائية وسوق التبان على نطاق واسع للخليفة العسكرية .

كثت اتبع اخبار هذه الحرب ، واهم ما كان يسمع من هواتنا في دمشق ، وينتخذ الاتراك من اجراءات لاعداد جيشهم الكبير على ترعة السويس ، عن طريق بعض وجهاء الجبل واعيانهم من كانوا يترددون على هذه المدينة ، ويتسلون بزعمائها واصحاب القوتو فيها . واحيانا كان يوافيتهم بذلك الانكسار يوسف الشويري الذي اشرفى دارا في بلدنا واتخذها مقرا . ان من كان يحسن الظن بالاتراك من مواطنينا ، في حوالس الشام وبلادها ، لم يدرك سوء نواياهم ضد ايضا العربية الا عندما كشف جمال باشا عن مكنونات نفسه وراح يعمل على تنفيذ سياسة الانحاديين المفرة ، بنقل الفرق العربية من الجيش الرابع الى خارج بسلاد الشام واخلال اثرى العثمانية محلها فيه . ثم بلا السجون بالمعتقلين بعد الجزيرة التي بني بها في حيرة السويس ، وتفي مئات المئات الى الاناضول ، وتقيم الاحرار الى القيسوان العربي معاليه ، وتنفذ حكم الاعدام شتىا في بيروت ودمشق باستدعهم وطينة واخصهم لانهم العربية .

ولما اطل على سوريا وبنان شجع الجامعة العربية ، واجتاحتها الاراضى والريفة الضائعة ، اتبع لواء الجبل ان يعبروا عن اسس تقاليد العرب الموروثة في مجتمعهم فتحققوا بيوهم كطعام ونفاق ، للجلالين والمشردين ، والهاربين من الظلم ، والقافرين من الجنسية ، على اختلاف مذاهبهم واديابهم . وكان زعيم الجبل سليم الأطرش يشرف بنفسه — عند باب داره ببلدة « عري » — على توزيع الخبز والبريل المطبوخ بالسمن واللحم ، على المئات من الرجال والنساء والاطفال الذين ياتونه يوميا في صفوف مبراة وبأديابهم « قصعات الطعام » .

ذهبت ذات يوم الى « بصرى » لقضاء بعض الاعمال ، فزرت القامقام ، احد الجيوش ، وتجانينا ولقاء اطراف الحديث عن احوال الحرب باحوال بلاد الشام وكان يلتر دعشة وادجابه ثوله : « ان الاصطالبات الرسمية التي وصلتني تشير الى ان عدد اللاجئين الى الجبل قارب الخمسين الف نسمة ، اكثرهم من لبنان وسوريا ، والباقيون من بعض الاقطار العربية المجاورة » .

بالإضافة الى ذلك القدر الانساني الذي قام به اهالي الجبل — على اختلاف طبقاتهم — نجاء المتكويين والموزين ، كذلك فقد امنت بعض قراهم ملجا امنا لعدد كبير من احرار العرب ونطلقا لتضاهي السياسي المناهض للحكم العثماني الجائر . من هؤلاء نسبي المبكر الذي قصد الجبل وحل ضيفا على حيد البربري في « ام الرمان » .

وقد نزل امنا قرار الشريف حسين باعلان الثورة العربية ضد الاتراك ، ورغبة الابيسر فيصل بالتعاون معنا ، غناهمنا وعاد عن طريق المباداة الى مكة المكرمة برفقة بعض رجالاتنا لبلاغ قيادة الثورة عن « صادق عزمنا على المشاركة الفعالة بها » .

لم نلفظ قرارنا هذا نتيجة غيرة عاطفية او هوى غسي النفس طراوى ، وانما لاننا كنا نسلهم من تاريخ طائفنا الطويل ، جواقنا السياسية والعربية المائلة ضد العناصر الاجنبية التي حكمت بنا في الدافل ، والغزاة الظالمين الذين جاؤوا لاستعمارنا وسلب خيراتنا من الخارج . ولاننا كنا على يقين من ان للحركة العربية الجريسة جلورا راسخة في جيلنا بخذ ان كانت تنشط في الغفاء في بلاد العرب ، او في عاصمة الدولة العثمانية ، وكانت لنا صلة وثيقة بالثلاثين انتصرا الى الجمعيات العربية ، ونهم اسعد برتد ، حسين ناليس الأطرش ، حيد البربري ، سليم ومحرى المخوش ، حيد الله العيد الله ، علي الحكم ، حيد الجرقاني ، مزيد ابو عسلى .

ومن الشخصيات البارزة العربية التي اتصلت بنا : الاجير عارف الشهابي ، عبد الله المصري ، نونيس اليبساط ، وغير حيد . واتصل بنا عدد اخر من احرار

العرب ، كالكثور عبد الرحمن المشهور ، والكثور احد قدي ، ورفيق النجس ، وعبد الشلف العسلى ، وعز الدين القنوشي ، وتزيه مؤيد العظم ، وخليل السكاكيني ، ورسم حيدر ، و خليل صيدح . وقد شهد اكثرهم احتفالا برقع العلم العربي فوق دارنا «بالقرية» ، بحضور نسبي المبكر وجهور غير من اعيان الجبل ونسبائه .

ومنذ ان اخذ جمال باشا في ملاحقة الجمعيات العربية ببلاد الشام ، كان اول ما يفضاه ويخص له حسابا هو ان تمنع الثورة على الاتراك في الجبل نفسه ، بعد ان ثبت له من الوثائق التي استولى عليها ان لمعي يجيى الاطرش صلة وثيقة ببعض الجماعات المذكورة . وقد صرح اثر وقاته قائلا : « ان وفاة بعض الاطرش كانت خيرا لنا وللثورة انفسهم » .

وفي الحقيقة ، لم ييسر لجمال باشا التقرب من بعض زعماء الثروز واستبائهم اليه الا بعد وفاة عيسى يحيى واسلام ابن عينا سليم الزعامة ، في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٤ ، وليس من شك بانه كان مصيبا ، بعيد النظر ، اذ كيف له ، بالإضافة الى خطر الثورة المشار اليها ، ان يؤمن بوسائل عسكرية منتقلة بواسطة الخط الحديدي المار بجوار الجبل ، والذي يصل دمشق بالدينة المورة ، اذا كان يسم كسب الثروز الى جانبهم ، ويجعلهم متاويلين للحركة العربية القاتلة ؟ لقد حرصنا ، بادي الامر ، على ابقاء علاقتنا حسنة بانتداب الجبل الذين راوا ان تكون هناك « هدنة » مؤقتة ، كي نحافظ على الهدوء والامن في ربوع الجبل ، ريثما نتحرك جيوش الثورة العربية باتجاه الشمال ، ويصبح اتصالنا بهما مجديا فعلا . ومع ذلك فلم ينفذ بوقتنا الاجابى مع هذه الثورة على قبائل بدوية كثيرة في المنطقة ، وعلى فرس من زعماء حوران ، ان كان الصالح بنا مستورا ، وظلوا ينتظرون العلم منا لننضموا الى قرائنا المخررة . وقد وفى الكثير منهم بوعده ، فالتحق بالثروز اثر نزول الشريف على فيه .

وبعد ان تم نسب المبكر يسمته في الحجاز ، عاد الى الجبل واستقر في حيد في بيت حيد البربري « عام الرمان » . وكان في السرياء حينذاك قائما بدمسى نشأت الشري ، اشهر بهاته وحدة كاتله وديانة خلقة ، ولما علم هذا بزلزل الشريف عسلى بالثروز سلوره النقل واخذ يستشير اهلهم في اوساطه ، واوساط المقربين اليه من الطرسان وانصارهم ، بحيث تكن من اقامتهم بالصور الى « فقرة » ، ثم « نقر » مع تنديد الماء ليراني ومفاتيح بشأن عقد اجناب مستعمل في بيت عيسى نسبي في « صلف » . فظاهرت بالواقعة على عقد هذا الاجناب ، الذي تقرر فيه :

١ - منع نسب المبكر من الاتمة في الجبل .
٢ - العمل على اخراج الشريف على بن الثروز .
لقد كان موقتي حرجا . فقلت المبد الاول بن هذا القرار . واستهلنا تنفيذ البند الثاني . وبالفعل ، انتقل نسب المبكر الى قرية « عثر » ، ثم عاد الى بيت حيد البربري في ام الرمان ليعيش عيشة مكرمة ، ويتابع نشاطه . وما ان انتقلت اشهر الشتاء عام ١٩١٧ ، حتى قرنا الجهر بالثورة وجعل بلدنا « القرية » مقرا لها في الجبل . ثم احتلنا بحضور نفر من احرار العرب برقع العلم العربي فوق دارنا ، وباشرنا بتفسير الحملة الكبيرة التي كنا قد اعدناها مع قبل ، الحسى المقيمة لتتلق بالجيش القيسلي هناك ، وكانت تتألف من ثلاثة الاف حجان ، سار على راسها اعيان الجبل .

ولما علت السلطة العثمانية بهذه الحملة ، وتأكد لها خير انضمامها الى قوات الابير فيصل بن الحسين ، عمت منشورا على قرى الجبل ، موقعا من قائد حامية « درعا » جاء فيه : « على اعيان القرى الحضور الى درعا لاثبات وجودهم . وكل من يتخلف يعاقب اند المصايب . والمخاطر مكنون بالثلاثين والحضور ايضا » .

وفي اواخر كانون الاول عام ١٩١٧ تلقيت كتابا من نسب المبكر جاء فيه :

« الجيش الحجازي ظهر مكة المكرمة بن الاتراك ، وجيش الحلاء انضم اليه الجيش السوري قد انتسج بر السبع من طريق غزة في ٣١ تشرين الاول «اكتوبر» سنة ١٩١٧ ، وباتما في ١٦ تشرين الثاني «نوفمبر» والمقدس في ٩ كانون الاول «ديسمبر» . وعليه كن على استعداد ان رجال حرك . وقرينا سندخل حاكم المسع بواسطكم . الله ينصر العرب » .

وظلت اخبار الجيش القيسلي تصل اليانا عن طريق نسب المبكر الى ان عاد مع بعض افراد الحملة الى « القرية » ام اقام في قرية « ام الرمان » بنبوا مقوصا من قبل الابير فيصل ، حيث كان حيد البربري قد رفع

العلم العربي ايضا . وقد حيل معه بيلنا بن قائد الجيوش الشمالية اين ملك العرب ، فيصل ابن الحسين جاء به : « اتنا انتدبنا السيد نسب المبكر الى جهاتكم بالوكالة عنا ، بينا تحضر بذاانا او يحضر الخونسنا الابير زيد لجهتكم ، فيجب والمعالجة هذه اجراء جيبع التسهيلات التي اعطينا ان تراها من ايتاكم الموصيين بالغيرة العربية والمحبة والشهامة العثمانية ، بطرد اعدائنا واعداء وطننا » الذين اذا لم تندد على طردهم من ديارنا ، غائم لا يكون منا فردا . واتنا بعونه تعالى ستانكم قريبا بجيوشنا ومعدنا . هدا الله وابكم سواء السبيل . حرر ٢٨ اذار ١٩١٨ م . » . ولقد قرأت لحنا ابي رائد بحتا بعنوان « افتتاح اسكي شام » في كتابه « جبل الثروز » ، استعرض فيه الاحداث الجارية بصورة لا تنطبق على الحقيقة والواقع ، قال :

« ومن الثروز توجه نسب بك المبكر ، براغقسه حسين بك الاطرش وزكي بك الثروبي الى جبل الثروز — تاركين في الثروز الشريف ناصر ونوري باشا السيد — وعقدوا اجنابا شم الثروز وفي مدينتهم سلطان الاطرش ، وبعد الايمان المخلقة ثروزوا في الوقت نفسه ، اترف على دمشق . وبعد هذا القرار الخطير كتب نسب المبكر وحسين الاطرش الى الابير فيصل ليخبرانه بما تم . وهذا هو القيرى بالعرف :

« استنادا على مخافة الابير فيصل مع حسين الاطرش والقرار الصادر في اجناب « كاف » برئاسة الشريف ناصر وحضور بعض الايمان ، منهم : نسب المبكر وحسين الاطرش وزكي الثروبي وسلمان الاطرش ، تقرر ما ياتي :

اولا — استقلال جبل الثروز سياسيا واداريا مع حفظ التقاليد والمعادات الحربية بين العشائر .
ثانيا — ايجاد العلاقات الودية والمخالفة القلائبية بين الحجاز وسوريا وجبل الثروز على نقاط ثلاث :
١ - العرب تساعد الثروز ، والثروز تساعد العرب عند الثزم .

ب - لا سلطة فعلية او عسكرية لحكومة من الحكومتين السورية والحجازية على جبل الثروز .
ج - ان الثروز تسيطر الابير فيصل اجرا على سوريا ، ولكلها لا تعمره اجرا على الجبل الا في الوجهة الائمة والمعاملات الودية والشريفية .
ثالثا — بعد اعلان الايمان المخلقة على تنفيذ هذه الموايد ، تقرر اترف على دمشق .
« وبنا على هذا القرار شمس سلطان الاطرش برجاله ، ويده اليه حيد البربري لفتح بصرى اسكي شام ، رالفين علم الشريف ... » .

ان ردي على ما تقرر هو الاتي :

١ - ان الشريف ناصر لم يحضر الى الثروز ، ولم تجتمع به الا اتنا زحنا على دمشق في جهات « الشيخ مسكين » حيث كان يتوكل كالعلى القيسلي ، قبل ان يترك الابير فيصل من الثروز ثم من درعا باتجاه الشمال .

٢ - لم اسمع باجناب « كاف » المينة ايضا ، ولم احضر اي اجناب نهدي له ، ولم يكر في احد من اقاربي انه سعى الى عقد مثل هذا الاجناب ، ان اخذ اي قرار بخصوص استقلال جبل الثروز المشار اليه فيه . واتني لتسائل : لماذا نتاج الى عقد مثل هذا الاجناب في قرية « كاف » ، وتكنا انفسنا شام المسر الى تلك المقيمة المصرية الثالثة لتتلف فيه القرات المذكورة ، وقيادة الثورة العربية قد استكشفت واحدة الاثوق واختارنا لتكون مقرا سرنا لتضاهي السياسي في المنطقة اولا ثم لتجعلها مركزا لجيش الشمال بقيادة الابير فيصل ثيل ان نباشر ميلابنا العربية حيد حوران ؟ ولتلقى بالقوات البريطانية في بلدة درعا في اواخر ايلول ١٩١٨ ، بحيث يكون من التسهيل عليها وعلينا الاجناب هناك والتفاهم قسي موضوع « الاستقلال » المذكور . وكيف تتخذ مثل هذه القرات بدون علمي ، واتنا المسؤل الاول عن الثورة في الجبل ، وبشخصي ارفط قائدا في كل ما يتعلق بشؤوننا السياسية والحربية ؟

٣ - يكفي ان اشير الى الاسلوب الفرك السذي صيفت به تلك الاتفاقية الزعومة ، والى ما ورد فيها من افكار خاطلة لا تبت الى الحقائق التاريخية بصلة ، ليدرك الناس انها معلومات مخررة ، مدموسة علينا ، بقصد تشويه سمعتنا والحط من شان جهادنا في سبل حرسه امنا واستقلالنا ، اذ كيف يمكن ان يقوم تحالف ثلاثي بين « الحجاز وسوريا وجبل الثروز » قبل ان تقوم قاطبة هذه « الدول الثلاث » ، ويخرج الاتراك من بلاد المسرب نهائيا ؟ وكيف يستل الابير فيصل بسوريا وهو يعمل تحت راية ابيه « ملك العرب » ، ان قبل ان يجلس على دفة الحكم في دمشق ويستقر امره فيها ؟

جماهير غفيرة في الذكرى الثانية لرحيل الباشا المجاهد جاءت تجدد العهد في مهران كبير في القرية

بعثة الأنبا إلى جبل العرب
تنقل التفاصيل في العدد المقبل



صريح سلطان باشا الأطرش



من الأسلحة صغر الجبل



الباشا المجاهد



رئيس الطائفة المسيحية في الجبل



يشايح الملح : يحيى الخناري ، سليمان الهجرى ، حسين خربوع



سيف سلطان زيد الأطرش



حملوا « الأبناء » بلهجة وراحوا يرتضون بها



الجماهير تجدد العهد



علم سوريا الثورة



مصور سلطان الأطرش

المعركة المنصورة

قبل أن يصل الجيش القيصري إلى درعا ، كتبت قد انبثت انصاليات بمعظم القرى المجاورة للثورة ، فتمتعت هم انصاري ليكنوا على أهبة الاستعداد لتسبر بهم ل بقية الجيش القيصري إلى دمشق . غير أن أحداثا الحرب الأهلية كانت تزاد يوما بعد يوم في سائر أنحاء الجبل بسبب نشاط الأتراك المستبر في مختلف المناطق ، وبذلك الاموال الطائلة ، ونشرهم الدعايات المفسلة ضد الثورة العربية .

لقد احسست احساسا عيبيا بخطر الموقف ، ونفخي من مؤامرة تركية ناجحة بقلوب بها موازين القوى في البلاد ، لقد كنت مصمما على خوض المعركة ، ضد الأتراك ، هذه المعركة التحررية بعزم وثبات ، وبأي ثمن من الأثمان .

وسرعان ما جاء الفرج في رسالة تلقيتها من الأمير فيصل يقول لي فيها في جملة ما يقول : « أخي سلطان . الملقى ، درعا ، قدا . » فاستلمت فوراً انصاري غلبوا الدعوة بشاة وفرنسا ، واقبلوا تحت بيارقهم الخفاقة كالكسيل الجارف ، ولكنني احتفظت بنحو خمسمائة فارس ، وطلبت من القساة أن يعودوا إلى قراهم وينظفروا بني عليا آخر اذا دعت الضرورة إلى وجودهم فسي جبهة القتال .

سرنا نحو « بصرى » فاستسلمت حاديتها دون مقاومة

نذكر ، واستولينا على الأسلحة والمخازن وبمساعدات الجيوب ، ورحنا نوزعها على الاهالي ، نعويضا غلى الاهالي الذين انصبوا المنا في البلدة نفسها ، ونعويضا عما صادرنه السلطة العثمانية ايام الحرب . ثم توجهنا إلى « الشيخ مسكين » دون أن نخرج على درعا التي اوتكت ان تسقط بيد الجيش العربي ، والتقينا هناك بفريق من رجال حملة الجبل ، وكان القسم الأكبر منها قد عاد إلى الجبل عمن طريق الأزرق ، كما التقينا بعشائر « عزة » بقيادة عودة أبو ناه ، ونسبي صخر . بقيادة خقال الحازن ، والحوارثة بقيادة الشريف ناصر . ولقدنا نظارد القوات العثمانية والامانية المتراجسة ، ولكننا توقفنا في جهات القصوة ، حيث تمكن الأتراك من اقامة خط دفاعي حصين تساقطت منه علينا قنابل الذخعية الثقيلة بكثافة . وكان أشد مراكزهم قسفا « نزل المانع » التي احشيت في جبهتنا لغزات واسعة ، فالتسب كثير من رفاقنا ، وبعد قليل اصبحنا وحدنا في ميدان المعركة ، واضطرتنا للبييت في قرية « المدير علي » لنضع خطة قتال مناسبة نعمل على تنفيذها في اليوم التالي . وقد اتصل بنا الأمير فيصل طالبا منا مواصلة الزحف بالقصى سرعة ، لدخول دمشق قبل وصول الجيش البريطاني إليها .

لقد قمنا بحركة الشفاف حول مواقع الأتراك ، وبانغناهم بهجوم صاعق عطلنا به أكثر بطاريات مدفعيتهم ، وقاتلناهم في خنادقهم بالسلح الابيض حتى استسلم لنا من بقي

حيا منهم ، وكان في بقديتهم شاب كبير هو رضا الركابي الذي اسره فرسان « الفارية » واحضروه التي بصورة مهينة . فلما عرفت هويته العربية ابرت باعادة سلاحه اليه واركيته غرسا وعاد بصحبتنا إلى دمشق ، ووصلنا إلى ساحة المرجة ، ورقعنا فوق دار الحكومة العلم العربي ، الذي كان يخلف في حفرة جبهتنا منذ خروجنا من الجبل . في حين كانت غلول الجيش العثماني المتوزم تخلي المدينة وتشتبب منها باتجاه الشمال . والامير سعيد الجزائري يتولى ادارة حكومة عربية مؤقتة ، من اعضائها : شكرى الايوبي وفارس الحفوري ، لتسبر على ابن المدينة ، ريثما يصل الأمير فيصل على رأس القوات العربية الرئيسية . وقد بلغ من حراسة اهالي « الجدان » و « باب المصلى » و « الشافور » واكبارهم لتشجاعة رجالنا ، انهم كانوا يدلونهم على مستودعات الأسلحة والذخيرة التي خلفها الأتراك والالان فسي بعض احياء المدينة وضواحيها .

وعندما وصل الأمير فيصل إلى دمشق في ٢ تشرين الاول عام ١٩١٨ ، ذهينا للسلام عليه في دار فخري البارودي الواقعة في حي القوات ، وبناقلنا فيه عبارات القهقبة بالنصر الذي كتبه الله لنا ، واعاننا به على تحرير بلادنا من العثمانيين . وما لبثت حكومة الجزائري أن استقلت وشكلت حكومة جديدة برئاسة رضا الركابي الذي سمي بحاكم دمشق العسكري . وعين الأمير عادل ارسلان معاوناً له ومشتاراً للأمير فيصل ، وعين رشيد



جماهير غامرة ، مشايخ ، وشباب وبنو ، كلهم جاؤوا في مظاهرات ضخمة ترفع صور سلطان ، ترمي ، تلعب السيف والقرص نحية لسمير الجبل في ذكرى الثانية



سوريا ، ذهبت لاستقباله في بيروت بصحبة الشريفة ناصر وإبراهيم الزعبي ، وفصل الله هبدي ، وعبد الكريم خليل عز الدين ، ولحقت أثناء القابلة ، انه غير مقتنع بشروع الاتفاق والذي كان يحاول شرح بنوده ، وهو متقبي الصدر .

قلت لاجير فيصل بصراحة :

— لا جدوى من التفاهم مع الفرنسيين .
وعندما اعلن في ٧ اذار عام ١٩٢٠ المؤتمر السوري ، واستقلال سوريا بحدودها الطبيعية وجباية الاجير فيصل ملكا عليها في اليوم التالي ، وخاصة حينما تسلمت مناصب الحكم والقيادة شخصيات وطنية مشهود لها بالاخلاص والجرأة والصلابة في مواجهة التحديات الانجليزية امثال : هاشم الاتاسي ، وعبد الرحمن الشهبندر ، وفارس الخوري ، ويوسف العظمة ، ورؤسا الصلح ، وحسين الحكيم ، وساطع الحصري . غير اننا ما كنا نتوقع ان تنعزض البلاد ككثرة يمسكون في ٢٤ فيوز عام ١٩٢٠ ، وان تنهار المقاومة الوطنية تلك السرفة المذلة ، لسو لم يكن ذلك كله نتيجة حتمية لسياسة التساهل التي اتبعها الاجير فيصل مع الحلفاء عامة وفرنسا بصورة خاصة ، وفحالة النفوس والاضطراب التي سادت النشاط السياسي في الداخل منذ قيام الحكم النيصلي ، مما اوحى سلفا بالتخاذل ، وانكشف من روح الهزيمة ، واعطى الدليل على ما كان يسود القوم من ثنائى غسي الاوهاء والجول وعدم الرغبة في الاستجابة لدواعي

على الجبل ، وعي نسيب عضوا في مجلس التسورى بديشق . ولم تطل اقامتي ، كثيرا ، فسي ديشق ، فاستأذنت الاجير فيصل ، واكدت له استعدادي الكامل لخدمة الوطن والقضية العربية ، وعدت الى الجبل مع بعض الرفاق لاستئناف عملي كالمعتاد ، وهو الاشراف على زراعة ارضنا وتربية بواشينا ورعاية شؤون بلدنا . لقد ظلت ذكرى الثورة العربية الكبرى واجاد معاركها في جزيرة العرب وبلاد الشام من اعز الذكريات واعمقتها اثرها في نفسي ، على الرغم مما ظهر من محاولات فردية بجدوها في اول عهدا ، ومما اطلتة البعض من تهم باطلا واحكام جائرة لاحراجها من دائرة الحركات النضالية والثورات التحررية الاصيل في تاريخ العرب الحديث . لقد كنا نصل رجال الدولة ، خلال اقامتنا في ديشق ، وكنا نخسر الاحتفالات في النادي العربي ، ونستمع لخطباء اعيان التسعب وكبار رجال الدين واطاب الاحزاب والجمعيات السياسية ، فيدخل في روعنا ان السودة الوطنية قاتية والحياة الاستقلالية الجديدة سير غسي مجراها الطبيعي ، وان لا مجال للشك في قدرتنا على مجابهة الاخطار العظيمة التي اخذت تحقق بالبلاد . ضد ان اضح بوقف انكثرا وفرنسا من القضية العربية على حقيقتها : وظهرت معاهدة سايكس — بيكو للعيان . ولما سافر الاجير فيصل الى اوربا للمرة الثانية غسي ايلول عام ١٩١٩ ، وعاد بجبل بشروع الاتفاق مع فرنسا ، اثر تخلي انكثرا عنه واتسحاب قواتها من

طبع مديرا لداخلية . وقد اعطرت عن قبول اي منصب حكومي على الرغم من الحاج الاجير فيصل على بذلك وراجعاته المتكررة بهذا الخصوص . غير ان حالة دمشق العامة لم تكن مرضية ، اذ امست بعد دخول الجيش النيصلي اليها بوشن غوصي واضطراب ، بسبب عيت بعض العناصر البدوية التي كانت تتكون من عشائرها غالبية هذا الجيش ، سقطت على بعض الاسواق والمناجر . ودعا رؤسا الركابي الى اجتماع عقوده في دار الحكومة بالمرجة ، ليبحث حوادث السلب والنهب . اوضحت للحاضرين ، كيف قينسا بواجبنا على اكل وجه منذ دخولنا الى المدينة ، وان هناك تحريفا خفيا من قبل بعض الضباط غسي الجيش لاتصاف التهمة بفرسان حيلنا ، وان هذا تاجر على الدولة العربية الناشئة ، واثارة النفورات القبلية والقبلانية وتحطيمها لموحدة العربية .
لم يكن ذلك كله خافيا في الحقيقة على الاجير فيصل ، بل كان يشعري كليا خلوت به بالتملأزه مما كان يسمعه من بجاتح البعض « ادعياء العرس على القتل والمطولات الزهيمية في الجيش العربي » . ومع ذلك فقد كان يؤك في رغبته في اشاعة روح التسامح بين الجميع . ويذكرني بالمرحلة المفيرة التي كانت بلادنا تجتازها غسي ذلك الوقت بالذات ، وبعراضها الاجتماعية المزمنة التي خلفتها عصور المحكم الاجنبي ، عصور التجزلة السياسية والذل والاستعباد . بعد هذا ، عين سليم الاطرش حاكما

المجلد المجدي والإبطال لعقيدة الجهاد والكفاح المقدس .
لقد كان غرازا الوحيد ، الموقف المتطرف الذي وقفه
يوسف العليقة بمنع الغزاة على تأسيس جيسلون ،
واستعباده البطولي الذي استرد به كرامة شعبه ،
ولقد انتقلت هذا الشعب لثأله ضد الفرنسيين في مختلف
مناطق الساحل والداخل .

كنت في « القرية » عندما وردت أخبار تقدم القوات
الفرنسية نحو دمشق ، فعدوت غورا إلى اجتماع في
بلدي لبحث الموقف الراهن ، فقرر فيه انتخاب للدفاع عن
استقلال البلاد . ولم تلبس فترة حتى اكتمل حشدنا ،
وسرنا على رأس حملة من المشاة والفرسان تعدادها
ثلاثة آلاف مقاتل باتجاه الشمال . وبعد أن بننا ليلة في
قرية « السنين » الواقعة إلى الشمال الغربي من
السويداء ، جازنا خبر دخول الجيش الفرنسي إلى دمشق
وانسحاب الملك فيصل منها ، فشكلت عندئذ وبدا لثألنا
فيصل . ودراسة الموقف ودعوته إلى الجبل من أجل
منامة الكفاح ضد الفرنسيين . ولكن الملك غادر البلاد
عن طريق درعا وتوجه بالقطار إلى فلسطين .

وعندما توقف الملك في درعا استقبله الحوارة ،
والسوداء حوله ، مما أثار غضب الفرنسيين وجعلهم
يرسلون بعض أعضاء الحكومة الجديدة ، التي تشكلت
التي تدخل الجيش الفرنسي إلى دمشق ، لتهنئة الحال ،
وعادة الأمور إلى نصابها . وعندما وصل القطار الذي
كان ينقل إلى محطة « قرية غزالة » هاجمهم الجهاديون
وقتل ثلاثة الذين فروا وبقي يوسف ونجس
عطا الأيوبي . ولم يلبث الفرنسيون أن أرسلوا جيشا
كفي يخضع الحوارة بعد معارك دامية كبدوا فيها خسائر
فادحة في الحركة التي وقعت عند نبع « الكتبية » الواقع
غربي قرية « حجة » . أما في الجبل ، وبالنسبة لإنهاء
الجبل ، فرحنا بترتيب الأحداث ببساطة وحذر ، وكما ننظر
الفرصة المؤاتية لنقول كلمتنا لا سيما وأن الكثرة من
أهالي الجبل كانت جارية للثورة العربية الكبرى ،
مخلصه في مساعدتها للحكومة الفيصلية التي قامت في
دمشق .

ومن المؤسف حقا ، أن بعض المؤرخين ، أخذوا بالتأويل
الفرنسي ، الذين كان لديهم إثارة الاتحاد بين أبناء
الوطن الواحد ، خاصة تضخيم الحوادث الفردية التي
وقعت بين أهالي قرى بخجورة على جانبي بعض حدود
الجبل مع حوران . وفي الواقع أن الانتشاك الذي وقع
بين أهالي القرى على جانبي الحدود ، في ذلك الحين ،
لم تكن له قط تلك الأسباب والدوافع السياسية المتعار
لها ، وإنما كان امتدادا لمشاركات قروية قديمة ،
وحوادث ثائرة مألوف وقعها في تلك المنطقة بالذات .
ومن المؤسف وقوع مثل هذا الانتشاك ليس فقط بين
أهالي منطقة ينتمون إلى طوائف وعشائر مختلفة ، وإنما
بين قرى يسكنها أبناء طائفة واحدة ، أو بين متناحري
تنتمي إلى قبيلة واحدة . بالإضافة إلى ذلك ، فإن جميع
القرى المتاخمة للجبل ، لم يكن لها علم مسبق بثلثك
الانتشاك ، ولما واطها أخباره ، اجتمع المخلصون على
وجوب إزالة آثار الخلاف كلية بين الفريقين المتخاصمين ،
والخيار تار الفتنة في مهدها .

انطلاق ثورة ١٩٢٥

●● وتحدث سلطان باشا الأطرش عن ثورة
الـ ٢٥ قتال :

بعد أن تفاعلت عوامل الثورة الإنسانية بدوافع
قيامها المباشرة ، والنحت معها ، كان علينا أن
تسند ثورة العزيمة والجرأة في إعلانها من الله ،
عز وجل . ومن شعبنا المؤمنين بالصور الذي كنا على يقين
من أنه لن يتم طويلا على شيم ، ولا يرضى أن نقر إرادته
ويستسلم لشبهة المستعمر .
ومع إيماننا القوي الذي لا يتزعزع ، فقد كان شعورنا
بمسؤولية ما نحن بقلوب عليه ومضموين على تقليده كبيرا
للشعبين التاليين :

الأول : ما كان يدخل في تقديرنا من غاري كبير بين ثورات
مجيلة أعاد أبائنا أن يملأوها وبخروها بمعاركهم شديدة
سلطة أعجوبة تنقلنا لنأهبها القوي ، وبين ثورة وطنية
نعتنا بوسائلنا القديمة على دولة كبرى حديثة بن اعلم
دول أوروبا الاستعمارية التي كانت تزعم بالتصانها
الساحقة على الجيوش الألمانية في الحرب العالمية الأولى .
الثاني : تفكيرنا بالثورة لم يكن محصورا في نطاق
الجبل ، كما نوح تصير النظم وأصحاب الاتهام المفرسة ،
والآراء الخاطئة ، فقد كان من الصعب جدا علينا أن نحقق

عقده تمهيبها وبدننا لها إلى سائر أنحاء الوطن ، إلا إذا
لنا في معاركها الأولى من هبة السلطة الفرنسية ، وانزلنا
بقواتها العسكرية شريعة قاصمة تنتشر أخبارها في كل مكان .
في ليلة ١٧ نوز عام ١٩٢٥ حضر إلى داري وفد من
رجال الدين على رأسهم الشيخ أبو علي هاني الحناوي
الذي قال :

« لم تأت ، في الحقيقة ، لثأركم إلا بعد نفاها مع
شيخنا العقل الفاضل : الشيخ حسن جريوع ، والشيخ
أحمد الهجري ، الذين حالت الظروف الراحنة ، دون
حضورهما ، في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل . نحن
نشعر بأن الموقف حرج والخطر محقق بالبلاد ، وقد بذلت
الهيلة الروحية في الجبل الكثير من الجهود لنحول دون
وقوع هذا الخطر ، ولكن السلطة الفرنسية ظلت على
عنادها في تطبيق الأساليب الجائرة ، ولم تبت الأمل في
وصول البلاد كلها إلى الاستقلال الصحيح . نحن نبارك
كل خطوة نخطوها في سبيل الدفاع عن كرامة الشعب وحفظ
التابوس والعرض ، وأنتا لنقبل إلى الله تعالى بأن يحفظك
ويعفوك لك النصر المبين ، أما ما نملكك به ، فلا نزيد على
ما جاء في كتاب الله العزيز :

« أنبا المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله ،
ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل
سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » .

هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين
ليزدادوا إيمانا على إيمانهم ، ولله جنود
السماوات والأرض ، وكان الله عليهما حكيمًا » .
« ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأديبار ،
ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا » .

وكما جاء أيضا في الحكمة الشريفة :
« معشر الأخوان ، لا تكن خشيتكم من
عدوكم مثل خشيتكم من باريكم .. » .
« معشر الأخوان ، من خشى من بشر مثله
سلط عليه ، وإن الموحد الدين شجاع غير
جبان » .

كانت كل هذه الكلمات ، زائدا المعنوي ، وسلاحنا
الآن الذي خضنا به معارك الثورة ، وأعمدنا عليه في
مجاهدة قوى الشر والعدوان .

واستيقظت في اليوم التالي ، على صهيل الخيل وحدا
الفرسان الذين تجمعوا في ساحة دارنا . ولم يكن هؤلاء
بحاجة ، في الحقيقة ، إلى أن أعلن لهم رسميا قيام الثورة
لأنهم كانوا جميعا يرقق نضال ، وعلى علم مسبق بكل
تطورات الموقف . غادرتنا « القرية » باتجاه الجنوب ، وكنا
بشعة فرسان ، وأبقت أخي علي في البلدة ليستطلع لنا
تحركات الفرنسيين ويبحث بأخبارها أينما نجا .

أول قرية اتصلنا بها قرية « بك » حيث انضم إليها
بعض المجاهدين . انتقلنا إلى قرية « أم الغرمان » وانضم
إليها بعض من محاربيها . وكما وصلنا إلى قرية « عز »
وجدنا حسين الأطرش مصابا بطلق ناري في فخذة أفضده
عن الحركة والزينة القرائي . لم يخر معنا أحد من
أهلها . بننا ليلتنا في « المشوق » التي أعلن أهلها
بلسان صانع مزي أنهم على استعداد للانقسام إليها في
الوقت المناسب . بأعنا طريقا إلى قرية « أميان » حيث
شارك علي بن مصطفى الأطرش ويوسف العيسوي في الثورة
نخوة اهتلي . فاندفعوا كاتسبل الجارف وراء
بيدقهم ، وقاموا بعراضات حاسية في الساحة العامة .
وعندما انتهوا إلى قرية « ملح » لم يكن عددا قد تجاوز
الثلثين خيالا . استقبلنا عند مدخل القرية . ولكني نستشير
الخبرة معتدا في ميدان القرية خلية سياح حيث راح فرساننا
يطلقون الرصاص ويتسايحون . ولم تلبس دقائق حتى خرج
رجال القرية لاستقبالنا ، البيرق يخفق بألوانه الزاهية
فوق خيامه البطل : شهاب غزالة . بننا ليلتنا في هذه

القرية حيث كتبنا رسائل عديدة لأعيان « القرن الشرقي » ،
شرحنا لهم فيها أحوال البلاد العامة ، وبيننا أسباب قيام
الثورة ، وطيننا بهم ملائنا إلى قرية « عرمان » .
في ٢٠ نوز انتقلنا إلى عرمان حيث تجمع الأهالي تحت
بيارتهم في الساحة . واصواتهم الهادرة بالأهازيج العربية
تنش كبد السبا . وفجأة ظهرت طائرات حربينسان ،
فاضطربوا رجالنا بالرمصاص ، أصيبت أحدها فارتفعت
وهبطت قرب قرية « أميان » . وأسر طيارها وأقيدا إلى
بيت علي الأطرش وظلا في ضيافته ، وتم تسليمها فيما بعد
إلى السلطات الفرنسية .

وفي هذه الأثناء حضر جرحه النروشي ، ومعه عدد كبير
من الفرسان من « القرن الشرقي » ، وكانوا طليعة
المجاهدين الذين لبوا أداء الثورة . وقررتنا بتأدية الطريق
إلى « صلخد » واستولينا على قلعتها ودار الحكومة فيها
دون مقاومة . وكان ذلك مستجيبا لتضام بعض الثوار
إليها من قرى القرن . أما أفراد السلطة وزلها فقد غرروا
لا يكونوا على شيء ، فقد أن اطلت جيوعنا عليها من جهة
الشرق .

قبل مغادرتنا قرية عرمان ، نأكد لنا أن هناك خلية
عسكرية قد تحركت من السويداء بقيادة الكاتب توريسان
منجهة إلى الجنوب . ولما وصلت إلى « عري » توجهت
قوة استطلاعية إلى « القرية » بقصد إيهام الإهالي بأنها
متأثرة عسكريا . غير أن الخلية لم تنقل على أخي علي ،
بل أثار القوة بالانسحاب من البلدة ، فاستجابت واستجبت
على الفور .

توريان أحدث تمديلا على خطة سيره ، بعد أن وافقه
أخبار دخولنا إلى صلخد ، فوجه شرقا نحو الكفر ، ونزل
في البساتين الواقعة بجوار « عين موسى » من الجهة
الغربية ، ليقطع علينا طريق السويداء ، وضرب خيامه
على الهضبة الوعرة الواقعة إلى الشرق من « عين العليقة »
وأجر يربط خيول الخيلة وبغالها في الجهة الشمالية -
الغربية من المخيم حيث توجد بقايا سور قديم . بعد أن
تدارسنا في الموقف ، قررنا الانتقال إلى قرية « العين »
الواقعة إلى الشمال الغربي من صلخد لتكون لنا مركزا
لتبوين الحارين ، ولكن سرعان ما عدلنا للتسبين التاليين :

١ - وصول بريق « ملح » بشانته وفرسانه وأتارنه
بوجهة عارمة من الحيل للهرب وعلقاء العدو في الكفر
دون إبطاء .

٢ - تصبنا من تدبير الطائرات لهذا المخيم ، ونحن لم
نزل في بداية الثورة .

وكانت قد أوفقت رسولينا إلى الكفر ، عهدت إليهما
بالتبوين التاليين :

أولا : مغالبة قائد الخيلة وأعلامه بتوجهنا نحو السويداء
وتضخه بخلاف الطريق والانسحاب بجيشنا من الموقع الذي
يرابط فيه ، قبل نوات الأوان ، لأن هذا من تقاليدنا العربية
كلا نلجس للعدو مجال الإدماء بأننا أخفاه على حين
غرة .

ثانيا : تسليم كتاب إلى السلطة الفرنسية بالسويداء ،
تحيلها فيه بمسؤولية الأعمال التي تقوم بها ، ومقبسة
الاستمرار في السياسة الاستبدادية التي كان « كارييه »
يتبعها ، بالإضافة إلى السياسة الاستعمارية ، بتقسيم
البلاد إلى دويلات مستقلة ، محكمة حكما عسكريا ، قائمة
على الظلم والارتباب وإثارة الحقد والتعرات الطفلة .
وما أن سلمنا الرسالة وقراءها بواسطة ترجمانه الخاص
حتى أجاب بنهم واستخفاف قائلا بالفرنسية ، ما معناه :

بالعربية :

« سألتني القبط على سلطان وأعوته ، وأعيد الأمن
إلى نصابه في سائر أنحاء الجبل خلال بضعة أيام » .
وكرر أحد المسؤولين نصحه للمقاتل الفرنسي بقوله :

« انسحب يا حضرة القائد ، وصدق وإمانة ، بأن غادر
المكان قبل وصول سلطان ، لأن ثورتك هذه لا تستطيع أن
تقف طويلا أمام عظمة الثوار » .

غادر القاصط وقال :

« لا تعلم أن عددا من السلاح والذخيرة ، ما تحارب
به الدروز ثلاثة أشهر ، من هم هؤلاء الدروز الذين نخوفني
بهم ؟ »

ثم أضاف قائلا : « أذهبوا إلى سلطان ، وقولوا له
أنني بانتظاره على آخر من الجبل في هذا المكان » .
في ٢١ نوز انطلق الثوار ، وراء بيارتهم الخفيلة ، لا
يتجاوز عددهم خمسين مقاتل . أكثرهم لا يحمل سوى
السيف ، وأدنى ، والفرس ، (الجبل) ، أما البنادق
فكان أحدها من النوع الإنكليزي والألاني الطويل والقصير
والعثماني بتأومه . ولما كان من الصعب علينا تنظيم مسيرة
البنادق ، أثار خروجنا من العين ، ونافسها التمدد على
نيل شرف السبق إلى ميدان المعركة ، فاستطرت أن اطلق
لقرى العنان كي يبلغ جشارف القرية قبل الطلائع المتقدمة
وأعمل مع بعض المجاهدين على تنظيم الخطة المناسبة
للجهوم .

أعاد أحد المخبرين أن الخيلة الفرنسية مؤلفة من ثلاثمائة
من المشاة وعضل من الخيالة ، وأنها موزعة على هضبة
وعرة على « عين العليقة » من جهة الشرق ، وأن الجنود
قد أقاموا بتأريسه بين الصخور المطلة على معطم ما
حولها من أراضي مكتوفة ، وركزوا الرشاشات مقابل
القنوات المؤدية إليها .

لم يستغرق انتقال الحارين من « العين » إلى « الكفر »
سوى ساعتين ، قبت على تقسيمهم إلى فرقتين : الأولى
بشاة علينا أن نسلك طريقا وعرة غير كرم القرية لنقوم
بحركة الخفاف من الجهة الشرقية ، والثانية بتألف بمقلها
من الفرسان ، وقد اتفقت بسرعة جوية نحو موقع العدو
لنصعد إليه لمواجهة من الجهة الغربية في جبهة ضيقة
يبلغ عرضها نحو مئتي متر . وما هي الا دقائق حتى أصبى
العدو مطوقا من كل جانب ، ولم نصل طلائع فرساننا
وحلة بيارتنا إلى ميدان المعركة ، وانضم مع رسالة
« الهوتشيس » في الخطوات الأمامية ، ألا بعد أن اخترقت
أجسادهم عشرات التقلبات والرمصاص المتتالية .

كنت أرتب سير المعركة من كتب ، وعلى الرغم من نصر



معه في بعض الموانع . في حين استطاع فريق من فرساننا الإنساني أن يحتلوا الأقسام الجنوبية والشرقية من القرية ويحتصروا فيها .

في الصباح ، تقدمت بين يدي إلى « نول خليف » لتغير منها على القوات القادمة للخدمة العدو ، ونفخ في الصفوف المتراصة على قواتنا المتجهة مع العدو في داخل القرية ، فسيطروا على طريق الكرك - المسيرة . ثم شنت خيلنا بقيادة أخي على هجوم على جناح العدو الأيسر بقصد تدمير مواقعه الرئيسية وإخلاء ثيران أسلحته الثقيلة ، ولكنها المظلات ، فزاجت بعد أن تكبدت خسائر كبيرة ، وفقد عدد كبير من رجالها خيلهم في أثناء ذلك الهجوم الفاشل . وقد وصل طيران العدو غاراته علينا ، وكما نصدد ببنيران رشاشاتنا التي استعملناها بدقة ، بالإضافة إلى ما اشتهر به « قناصنا » ببنادقهم العادية ، كان إبطاننا داخل القرية يجهزون على القوات الفرنسية المتحركة في بعض بيوتها ، ويبدون من البسالة ، ما يعجز الإنسان عن وصفه . واستولوا على كميات كبيرة من الأسلحة والخيرة .

قال لي الدكتور شهيدون عن هذه المعركة :
« يجب أن نتأخر بيا قام به إبطاننا في هذه المعركة ، إذ اقتحموا مواقع العدو الحصينة ، عبر السهول المحيطة بالقرية ، بوسائلهم البسيطة ، وإساليبهم على مركزه في قلب القرية . كل ذلك ببسالة نادرة ومغامرة جريئة قد يعجز عن القيام بها أعظم جنود أوروبا شهرة في ميادين القتال » .

لقد بلغ عدد الإبطال الذين استشهدوا في هذه المعركة نحو مائتين وخمسين شهيداً ، أما قتلى الجيش الفرنسي ، فيقدر عددهم بأكثر من خمسمائة قتيل . ستابع المسيرة . ستابع القتال . أما إبطاننا عقيب بالرسالة الوطنية التي صممت على حملها والتي بها حلّى الرمح الأخير من جيلنا وذلك باتخاذ القرارين التاليين :

١ - نجعل يبارق القرى وحدها من جديد لمنازلنا حملة الجنرال « غيلان » أثناء تحركها باتجاه مدينة السويداء .

٢ - في حال النصرنا على هذه الحملة نعمل بكل ما في وسعنا لتوسيع نطاق الثورة ، ونفع جهات قتال أخرى في المنطقة وغيرها من مناطق سوريا .

ربنا بعد استحبابنا من المسيرة ، ان نقيم في قرية « رساس » فلبثت مع أعيان البلاد وقادة المجاهدين في ما يجب عليه لمواجهة خطر الحملة الفرنسية الجديدة . فقرر إرسال برقيات إلى رئاسة مجلس النواب الفرنسي ، وإلى وزير خارجية الولايات المتحدة ، وإلى رئاسة مجلس الوزراء في كل من بريطانيا وإيطاليا وإلى بعض الصحف الأوروبية بتاريخ ١٢٢٥ .

ونشئ هذه البرقيات على أن « الدوروز وعموم السوريين يقاسون الظلم الفرنسي مما يهدد السلام ويشعل نار الإحتقاد بين الشرق والغرب » .

وفيما كنا نوالي إجنابنا على ورتت إليها رسالة جاء فيها « الجيش الفرنسي في قرية « الحدية » ووجهته مدينة السويداء ... » . ولم تلبث المظلات أن حوت فوقنا .. واخذت نصف أياكن تجمعا . وترعى الماتير . وجساء فيها ما نصه :

« اقترت الساعة التي تعرفون فيها قوى جيشنا . والتي نعملون فيها تاج نوركم . دعونا إلى رشكم وتدموا خضوعكم ، إذ لا يزال لديكم وقت للخضوع ، المسوا سلاحكم فذلك خير لكم ولستفلكم » .

لقد أثار هذا الماتير لفة نفوس الثوار ، واذت القياصة في صدورهم لمابعة النضال . وقد دللوا على ذلك بلبية دعوتنا للدفاع عن مدينة السويداء ، زاحفين تحت بيارقهم الخفيفة ليلاقوا حملة « الجنرال غيلان » صبيحة ٢٢ أيلول ١٩٢٥ .

تقدمت الحملة الفرنسية فاحتلت بهجوم خافف « نول العديد » وقرية « كفاك » وشكلت في تقديمها جبهة عريضة لمواجهة لمدينة السويداء ، وراحت تصب قذائف منفعليها الثقيلة وقنايل طائراتها على مواقعنا من الشمال والغرب والجنوب . اتخذت مقرى ضيقة بمرتفعة واقعة جنوبي المدينة . انتشرت بيارق قرى الجنوب والشرق عن يساري حتى قرية « رساس » أما بيارق الشمال والغرب فقد انتشرت عن يميني حتى وعرة « الشقراوية » فقرة «ولف» دارت رعى المبارك بعنف ، وأبدى خيلنا بن المشجاعة في صد هجمات العدو المتتابعة ، وتبكت بالثاني من أحياء خطه في الوصول إلى « رساس » و « كوم الحصى » و « الشقراوية » . وكانت خسائره بالأرواح والمعدات الحربية كبيرة جدا .

في صباح ٢٤ أيلول شن الفرنسيون هجوما كبيرا فغصوا به لغرة واسعة في الشمال الغربي من جبهتنا ، وانطلقوا منها إلى مدينة السويداء ، وتبركوا في داخل القلعة ،

ربنا نرفع من أعمال المجندين العام الذي نقرر عقده في قرية « ريمة الفخور » في أوائل شهر آبول سنة ١٩٢٥ . ثم سمعنا ، بعد فترة قصيرة أنه غادر الجبل إلى عيان ، ومنها عاد إلى الفوطية حيث انضم إلى بعض مجموعات الثوار . أما مؤثر « ريمة الفخور » ومقراته فقد تجلت فيها الوحدة الوطنية في أوضح معانيها ، إذ كان يمثل الحركة الوطنية بدشق ، بحضرته ، بالإضافة إلى قادة الرأي . وانصرفت الجهود خلال جلساته إلى وضع قواعد عامة للتعاون والتآزر بين جميع العناصر الوطنية في سوريا ولبنان ، لتقوية دعائم الثورة . كما رسمت الخطوط الرئيسية لنظام جهازها القيادي ونشوتها الإدارية والسياسية والمسكرية . وأنهى المؤثر أعماله بالقرارات التالية :

١ - متابعة الثورة حتى نزال البلاد استقلالها التمام التناجز .

٢ - تسمية سلطان باشا الإطرش قائدا عاما للثورة .

٣ - تولية الدكتور عبد الرحمن الشهبندر إدارة الشؤون السياسية للثورة ، وتسمية ناطقا رسميا لها .

٤ - تشكيل أركان قيادة الثورة ، في حد عام ، فغل الله هندي ، محمد عز الدين ، عقله القطامي ، سليمان نصار ، حسين مرشد ، يوسف العيسى ، علي عبيد ، قاسم أبو خير ، وعلي المحم .

٥ - الدعوة إلى حمل السلاح ، والانضمام إلى جيش الثورة ، في بيان عام نديمه الثورة على الشعب السوري . وكان البيان المشهور الموقع مني ، والذي يدعو فيه المواطنين إلى حمل السلاح ، وإلى أخفاء العرب الإيجاد ، والذي دعونا فيه إلى وحدة البلاد السورية ساحلها وداخلها وبدولة عربية سورية مستقلة ، وإلى قيام حكومة شعبية ، وإلى سحب القوى المحتلة من البلاد السورية وتأييد جيش وطني .

وسارعنا بعد ذلك إلى إرسال قوانين استطلاعيين لجمع المعلومات عن الحشود الفرنسية في الأراضي الحورانية ، فسارت الأولى بقيادة صياح الإطرش على خط أم ولد - المسيرة - الحيرة . والثانية بقيادة فغل الله هندي إلى عيان وخزيرة غزالة - وقد حصلت بعض الاشتباكات بينها وبين الخاطار الفرنسية الأماجية في بعض المناطق المخاضة لحدودنا الغربية . ول ذلك الإثارة ، بدأت التجدات تصل إلينا من أخواننا جبيل لبنان ، وكان على راسي المجاهدين : الأمير عادل أرسلان ، رشيد طليح والمعيد فؤاد سليم . أما بالنسبة إلى معركة « المسيرة » . فقد انقلبت إلى « عري » فقرة « سهوة اللطاة » لتندرس الأمير المسجد على العدو المغربي ، وإذا بقيال قائم من قرية « التلمة » يعمل إلينا كتابا من محمد عز الدين ، فغاده أن الجيش الفرنسي قد تركز في قرية « المسيرة » ونصب جبايه على الجبابر وحفر الخنادق وبد الأسلاك ، وأن طلائمه المقدمة أصبحت تهدد قرانا الغربية بالخطر العظيم . ويشترع مهاجمة المسيرة واحتلالها ، قبل أن نقوى شوكة الفرنسيين .

معركة المسيرة

لقد بدت لي فكرة الهجوم على المسيرة مغامرة خطيرة ، أو عملية انتحارية ، وقد ادركت مغزى الخطة الجديدة التي كان الجنرال « غيلان » ينهجه بقصد استدراجنا إلى المنطقة السهلة الواسعة المكتنفة ، للاقتتال على عيان . وشاركني رأيي معظم الإخوان : الأمير عادل أرسلان ، والمكتسور شهبندر ، وسبيب البري ، وثرية العظم ، وعقلة القطامي وفؤاد سليم . وانتقلنا إلى قرية « كفاك » القريبة من الحدود الغربية والواقعة على امتداد المسيرة شرقا ، وقد للتداول والتباحث مع المجاهدين واصحاب الرأي ، وقد طغت في هذا الإجتاج الأفكار الحياضية ، واستبدت بجمهور المحاربين .

وبات الزحف العام على المسيرة ، في ظلمة الليل ، امرا لا مفر منه ، لمالمة العدو وأبانه قبل أن نطلق الشمس في يوم ١٧ أيلول .

مشينا بعد منتصف الليل ، ونوقفنا عند « نول خليف » ربنا نصل بيارقنا المناخرة . أما القوات الفرنسية فقد كانت مختصة في قلب القرية المحطة على السهول المحيطة بها ، تحميها الخنادق ، ومرايش الرشاشات ، ومدافع الميدان . وقد اجتمعت الأخبار يومئذ على أن العدو يقارب الآلاف وخمسمائة مقاتل بقيادة الكولونيل « اندريا » .

ول تمام الساعة الثالثة والنصف صباحا ، اشرفت مقتبنا على خطوط العدو من الجهة الشمالية - الشرقية ، وإذا بمباريات لاربة بطلتها العدو في الفضاء لتنعطنا الدليل عن فكاك العدو ، ونجاح خطه في تحويل عنصر المبالغة لصالحه . اتفقت علينا ثيران الأسلحة الخفيفة والثقيلة دفعة واحدة قبل أن نتمكن من اتخاذ أي تدبير وقائي ، وقد غلى السهل بأكثر من مئتي شهيد من رجالنا في اللحظات الأولى من المعركة . ومع ذلك ، فقد تكبدت طلائعنا من خباياة زحفها بيرة نادرة ، فاختزلت خطوط العدو واتخذت

جدينا التي لم تتجاوز الأربعين دقيقة ، وأبت شيوخا وغلبنا بتحصون المراكز الدفاعية الحصينة ، لا يتحلقون بلبديهم سوى عصي السندبان ، أو السلاح الأبيض . سمعتم بالتي ثخوات متعاقبا وصحانهم الخرمية ، بعد أن توسلوا المعسكر الفرنسي ، ثم سمعت بعد قليل مرخات ألم متتالية نبعث من أولئك الجنود النساء الذين مالت على رقابهم السيوف البائرة ، وهوت على رؤوسهم المظروس القاطعة . قتل ضباط الحملة وجهاز القيادة ، وكبت النجاة لعدد قليل تمكن من الوصول إلى قلعة السويداء بكل صعوبة . أما الجنود الدوروز فقد انسحبوا قبل بداية المعركة . وإذا كان النصر حليفنا في هذه المعركة ، فقد أحيا الأمل ونوى الثقة في نفوس ثوارنا ، واكسب المعزول منهم أسلحة جديدة واختار ثيلبة ليطوفوا فيها معارك مقلية ضد الفرنسيين .

أما على الصعيد الوطني ، فقد بعث هذا النصر الروح المتفائلة من جديد في مناطق سوريا ولبنان ، وبهد الطريق لنشر الثورة فيها ، وأعلن الملا ، أن أبناء الجبل لا يتخلون بسهولة عن مبادئهم الوطنية ورسائلهم القوية ، مهما تظلمت على مجتمهم قوى البلى والعدوان ، ومهما حاولت تشويه سمعتهم قوى النشر والنقاد في داخل البلاد وخارجها . أما خسارتنا في معركة الكرك هذه ، لم تبلغ سوى أربعة وخمسين شهيدا ، الذين رووا بدمائهم الثكلى أرض الوطن ، والتي تنعم بطلها في أيامنا هذه .

لقد كان زيام الأثر يثلث من يدي ، أحيانا ، بسبب حساسة المحاربين للتشديد ، وامتدادهم الكبير بنفوسهم ، واستهانتهم العظيمة بالموت ، فالمجاهدين الدوروز في كل مكان فرسان وفى وكر وفر .

أعدت الأداة للانتقال مع الثوار من « الكرك » إلى « قنوت » ، لرماية عملية حصار القلعة في السويداء . التي لجأ إليها الفرنسيون مع أفراد أسرم وانصارهم ، فاعترضت طريقنا قوة من خيالة العدو ، يغلب على الظن أنها كانت ذابحة إلى الكرك للثبث من صحة الأخبار التي نقلها القارون من المعركة عن مصير القائد « تورمان » ورجال حملتهم هناك ، فلوأشها فرساننا وظلوا يطارقونها حتى اقتربت من القلعة وأسرت في الدخول إليها .

ولما بلغنا قنوت ، استقبلنا الأهالي بالحفاى الشديد ، نزلت بدار يوسف الهجري ، لأن الشيخ أحمد الهجري شيخ الممثل الأول في الجبل ، كان غائبا عن القرية . وعلمت بعد ذلك أن الفرنسيين قد وسطوه ليذهب على رأس وفد من شيوخ الدين ، ويشرف على عملية دفن قتلاهم ، وقد تم ذلك بمساعدة شيوخ الكرك وأهاليها .

كثبت رسائل للقرى التي لم أتمكن قبل من الاتصال بها . فاططنها على أحوالنا ، وشرحت لهم أبادي الأساسية التي قامت عليها ثورتنا والنتائج التي حصلنا عليها ، وما قد يترتب على ذلك ، من أخطار تسميتنا في المستقبل ، فكانت اجوبة الجميع من التشجيع والاميان لتشنن التأييد المطلق في كل الحالات . قلت لولد الذي جاء يقدم لي التعزية ، في ممران ، بوماة أخي مصطفى ، وأعلن ولأنا لبادي الثورة واستعدادها لبلل كل غال ورخيص ، وذلك يوم ٢٦ تموز : مصطفى راج في يومه فداء للوطن ، والتي لم أسف على فراقه أكثر مما أسفت على فراق الشهداء الآخرين الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل حرية بلادهم واستقلالها . وأعلموا أننا ستفقد الكثير من أبنائنا وأخواننا في معارك قادمة لتنتهى نهائيا من ظلم الأجنبي واحتلاله لبلادنا .. » .

تنظيم الثورة وتوسيعها

وتحدث سلطان باشا الإطرش عن تنظيم الثورة وتوسعها فقال :

في أواخر شهر آب عام ١٩٢٥ ، استقبلنا وفدا كبيرا من أعيان دمشق بقرية « كرك اللحن » يتألف من : الدكتور عبد الرحمن شهبندر ، صبيب البكري ، ثرية وسعد الدين المؤيد العظم ، المعيد الركن يحيى حياي ، جبيل مردم ، عبد القادر سكر ، قاسم الدرخباي . وبعد أن اطعمناهم على وقائع مفاوضات الصلح المتتالية مع فرنسا ، وندارسنا وإياهم بمسألة حشودهم على الجبل ، تقدم الدكتور الشهبندر بالقتراح يقضي بتعيين بعض حيالي قائدا في الفوطية لقاط به مهمة تحرير دمشق ، بعد غل الحلة السابقة عليها . ثم عرض علينا القائد نفسه ونحن في قرية قنوت ، باسطلته سلاحه اختيار خمسمائة فارس من فرسان الدوروز ، كي يتوجه بهم إلى العاصمة لمهاجمتها واحتلال مواقع السلطة الفرنسية والمراكز العسكرية حسب خطة حربية مدروسة يضعها بنفسه .

أخذنا بالقتراح الدكتور شهبندر ، وشروط المعيد الركن حياي ، يعين الاعيان ، واستقبلنا البيت بهذا الموضوع



ثم راحوا يعمون مهابا وندجرا وحرما بيوتها وخوانيتها ، ويتنكبون حرمات « مجالسها » ومجالس الأتباع فيها كيقام الشيخ عليها ومقام عين الزمان . سارعنا السي شرب المحاصر عليهم ، وقد أثر العطش بهم بعد قطع المسوار لجاء عين « القنية » عن المدينة ، فعاولوا جلب الماء من قرية « مصاد » المجاورة ، ولكنهم اخفقوا وقتل نحو اربعين جنديا .

عندئذ ابقى « غابيلان » بالهلاك اذا بقي رهن الحصار المشروب عليه ، فأتى الانسحاب مساء يوم ٢٦ ايلول . غير ان « غابيلان » لم يستقر امره يدشش ، كما حاول ان يوء علينا ، فتركنا الى قوله هذا « ففرق قوتنا » وانبا وانفنا اخبار وصوله الى ٢٧ ايلول الى قرية « المسيرة » نصهيا ، حيث شرب خيابه بقصد استرجاعنا مرة ثانية ، فخاب ظله ، واضطر في اول تشرين الاول الى تحريك جيشه من جديد باتجاه مدينة السويداء ، في حين بدأت يدفعينه بقصد مواقمنا بمنفى يستمر ، وطائراته تواصل غاراتها على جبهتنا ومراكز جبهتنا .

كانت يومئذ في « دراق » و « ببارق الثوار منتشرة جنوبا حتى « تل غسان » ونسلا حتى اطراف بلدتي عري والمجبر الغربية ، حيث كانت قوات العدو قد احزرت بعض التقدم ، ولكنها راجعت بعد ان اشنت مقاومتها لها ، ثم توقفت فري « المجبر » و « تل الحبي » و « قرب » « تل غسان » . ولم يلبث العدو ان استأنف هجومه ، مستخدما سلاح الطيران ، فدخل بلدة « عري » بعد معركة ضارية . ولكن الحملة الفرنسية لم تكت طويلا في عري ، وانبا غادرتها لتواصل تقدمها الى الشمال ، فدخلت قرية « رساس » عتوة بقصد التركز في السويداء التي أصبحت على بعد خمسة كيلومترات فقط عنها .

كانت يبارقا نخفق بشيوخ فوق الهضاب الممتدة من السويداء شمالا حتى نبع « عري » جنوبا ، وازدنت فخرا واهجيا بملك اللغة المختارة من المجاهدين الذين كانوا يرتضون رتعة الحرب المثيرة ، ويتحفظون بمزينة صانعة لغرض المعركة ، نلما توسعهم شاعر الزهو والاعتماد باخلاصهم لبادي الثورة الوطنية التي اعلنوها . وما ان تحركت بعض البنادق لمنازلة القوات الفرنسية في « رساس » و « زحزحنا » عن المواقع التي تركزت فيها ، حتى دارت المعركة الرهيبة المشهورة في تاريخ الثورة باسم هذه القرية الباسلة ، والتي دامت ثلاثة ايام متتالية لم يبق الفرنسيون خلالها طمعا للتم أو الراحة ، مما اضطرهم الى التفرق باتجاه قرية كذاكر فريا . وقد تغلوا عن خطتهم المرسومة بتأنيده الزحف شمالا نحو مدينة السويداء ودخلوا قلعتها الحصينة .

وكان على ان اقوم بجولة سريعة انشد خلالها مواقمنا في القرى الشمالية الغربية ، فركبت الى « سهرة اليلالة » ورائفتي بعض المجاهدين ، ولما بلغنا مكانا مرتفعنا يقع الى الشمال من هذه القرية ، اكتشف ميدان القتال فسادت بينظاري خيالة العدو تطلق على قرية كذاكر في محاولة لتحتلها ، وتلقها خذلت . وردنا فرساننا الى الهجمة الثانية على اعقابها ، وكبدوها خسائر بالارواح وغنموا الفحول التي شردت في السهول المجاورة .

ويبدو ان الجنرال « غابيلان » قد نسي نهائيا في هذه المرة من تحقيق النصر الذي كان يابله ، فانسحب بقواته مغربا الى حوران . وما ان بلغت طلائع جيشه المنسحب من رساس قرية « كذاكر » حتى تصدى لها مقاتلون غاوتقوها ، واستحووا الجبال ليلبرقا فنيكت من الاطباء على ارسال بقية الجيوش الاخرى . وهنا خشي القائد الفرنسي ان يؤدي انسحابه باتجاه المسيرة غربا الى كارثة عسكرية مماثلة لكارثة « الزمرة » ، فقرر في تلك اللحظات الحاسمة ان يبذل خط انسحابه من الطريق الاولى ، الى طريق اخرى توصله شمالا الى « عين الزمرة » . غير ان هذه العملية كلفت غالبا ، اذ لم يتمكن من تنفيذها الا بعد ان ترك على ارض المعركة مئات القتلى وعشرات الاسرى واربع دبابات ، وست صفحات ، وعدد كبير من ناشلات القتل . بالإضافة الى اسقاط طائرتين .

ولقد كان طبيعيا ان تخلف المنظمة المسلحة التي دارت عليها رضى الحركة من حدة هجومنا ، وان نجعل للمعدو فرصة للانسحاب الى نبع الزمرة أبرأ يسورا ، بحماية الآليات المدرعة والمدفعية الثقيلة وغارات الطائرات القتالية على مراكزنا المكتشوفة . لقد استبشرنا بنصر حاسم على جيش « غابيلان » اثر تزوله في المكان نفسه الذي نزل به جيش « جيش » ولكن الجنرال الاول قد افاد من تجربة سلقه ، فعزز جناح جيشه الجنوبي بالزمرة تمزيقا عظيميا ، بحيث اصبح من المتعذر على قواتنا التركز في السهل القابل له مهاجمته .

وبات في اعتقادنا انه سيواصل انسحابه في اليوم التالي عن طريق « الفور - ازرع » او انه سيفاجنا بهجوم اخر على السويداء ، ولذا به بوجه مقاومة عنيفة على الطريق المؤدية الى « بصرى الحبر » فريا ، فعمود لجنه بسرعا الى قرية « اللعة » الواقعة الى الجنوب الغربي من الزمرة ، بتكيدا في طريقه خسائر اخرى . واستمرت الاشتباكات العنيفة دائرة بيننا وبينه حتى تم انسحابه الى الاراضي الحورانية ، حيث عاد الى مركز انطلاقه الاول في محطة « درعا » عن طريق المسيرة دون ان يحقق مهبته وهي احتلال السويداء .

كان الجنرال غابيلان ، والحق يقال ، من اشجع القادة الذين واجهناهم في ميدان القتال . وقد ابدى براعة فسي تحريك قواته أثناء الممارك . وكانت خطته في التكر والفر . مذهلة لم ينسج لنا فيها ضرب جيشه ، اللجب الضربة القاتلة . لذلك ، اتينا معه الجدا العسكري القتال « خير وسائل الدفاع » الهجوم « اي اننا نكسنا بهيجتنا المعاكسة في « رساس » و « عري » و « كذاكر » و اطراف « السويداء » من نفيته شكيلته « الصنوقية » وارغضنا على اجراء تحركات مرهقة لزانته ، ابدت من قرية « المجبر » جنوبا الى « الزمرة » شمالا ، مما اضطره الى النهاية ، الى الانسحاب من اراضي الجبل بنية اعادة تنظيم قواته بحوران . ومما تجدر الإشارة اليه ان عدد الطائرات التي كانت تغير على قرانا وعلى مواقع جبهات القتال ، تتراوح بين ثلاث طائرات واربع وعشرين طائرة في الغارة الواحدة . واهيانا كانت الطائرات نربنا بتعديرات موقوتة ، أو نرعي اهيانا اخرى اكياسا من السكاكر صغيرة مشتهة عند الاطفال ، فما ان يتناول الطفل « ملسة » واحدة منها حتى يقع جثة هابدة . بسبب المادة السامة في تركيبها . وقد تعود الاهالي والنساء والاطفال الذهاب الى القرية والمخار ذات السكوف الصخرية ، أو الى الغابات القريبة ليحذوا بها اثناء الغارات الجوية . وكان الجيش يرسل عياله الى القرى المجاورة كمفجعة ، وحرك ، والقتل ، وقنوت .

اما المحاربون ، فكانت اقربتهم تأسى الذهاب السي الملاحي ، بل على العكس ، كان بعضهم يسارع السي سطوح المنازل لتسديد رصاص بناتهم ورضائهم على الطائرات الخيرة بقصد استقطاها أو لقمها من اصابة اعدائها .

لقد استمر حصارنا للقلعة مدة تزيد عن الشهرين لم نحاول خلالها ، في الحقيقة ، اخذها عنوة لاننا كنا نلظ ان تشديد الحصار سيستطفا يوما ما في آبدنا . ولا يخفى انه كان من موعات الاستيلاء عليها ما استنزفه العدو من قوتنا في « العادلية » و « المسيرة » نتيجة تسرعنا في الحركة الاولى ، ونهورنا في الثانية . وذلك قبل ان يزحف الجنرال غابيلان بحملته الكبيرة على السويداء وينجح بلك الحظ من الحصارين في قلعها .

لذلك ، كان من المتعار علينا وضع قلعتنا كله في نمنها ، وانما تركنا الامر لقيادة قواتنا من اهالي السويداء وغيرهم من سكان القرى المجاورة ، فربطوا حولها طوال تلك المدة ونحذوا الناس الكثير من اخطار القصف الجوي والمدفعي . ولكن بعضهم سجل بطولات خارقة في جبهاتهم القلبيسة عليها . واخراقتهم لانسلاك الشائكة الممدودة حولها . كما سجل الجيش الاخر ، من رغائنا الإبرار ، عدة اصابات بالطائرات التي كانت تأتي شوبونها ومدعا بالخيرة .

الاغبياء

سياسية يومية
مؤقتا أسبوعية
صباح كل اثنين

التحرير والإدارة
والاعلانات والتوزيع

بنابة المقر الرئيسي للحزب
التقني الاشتراكي - وطن الصلطة
شارع جبل العرب - الطابق الرابع
ارقام الهاتف مؤقتا :
٣٠١٤٨٧ - ٣٠١٢٣١
٣٠١٧٩٩ - ٣٠١٤٣٩

صندوق بريدي

خاص بالانباء ١٤/٦١٧٦

التوزيع للمكتبات والباعة
وخارج لبنان

الشركة العربية للتوزيع ش.م.ل

تلفون : ٢٤٧٩٠٠ - بيروت

في القطر السوري تتولى التوزيع

المؤسسة العربية السورية

لتوزيع المطبوعات

دمشق - براهيمكة

الاشتراكات

للأفراد : ١٥٠ ليرة

للمؤسسات : ٣٠٠ ليرة

اشتراكات الخارج : مائة دولار

أو ما يعادلها

بما فيها أجور البريد

سعر العدد

٥ ليرات لبنانية

٥ ليرات سورية

وما يعادلها

في بقية العلات

العربية والأجنبية